

علماء ومفكرون عريشتهم

محمد العزرا

منع القطن

دار الشروانك للنشر والتوزيع

www.dawahmemo.com

الدجال سهل للمرء

لله الحمد لعنة المستخلص
بكل قدر مقدرها
لهم من بصر حور فارس
هذا) ار المقصود

١٩

الشيخ مناع القطان

مسك العطا

هو الشيخ مناع أبو محمد القطان .

ولد في شهر أكتوبر - ت ١ - عام خمسة وعشرين وتسعمئة وألف في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بصر ، وإلى قريته هذه ينسب الشيخ الشنشوري شارح (الرحبيه) في علم الفرائض .

والشيخ مناع من أسرة كثيرة العدد متوسطة الثراء تعرف بآل القطان .

وفي هذه البيئة كان منشأ الشيخ ، وهي كثأن البيئات القروية المصرية تمتاز بالمحافظة على الأعراف والتقاليد وترتبط الأسر ، وما يتصل بذلك من حماية الأعراض والفيرة على حرمات الإسلام .

وقد بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في 'كتاب القرية' ، على دأب أمثاله من أبناء البيوت الحافظة في مصر أثناء ذهنه ، والتحق بمدرستها الابتدائية فأتم برامجها ولما يتجاوز الثانية عشرة . ثم التحق في شبين الكوم بالمعهد الديني التابع للأزهر ، فحصل منه على الشهادة الابتدائية ثم الثانوية بترتيب متقدم . ومن أبرز مشايخه في هذه الفترة الشيخ عبد الرزاق عصيفي - وسنترجم له إن شاء الله - والشيخ عبد المتعال سيف النصر ، والشيخ علي شلي .

ومن ثم التحق بكلية أصول الدين في القاهرة، ومنها حصل على الشهادة العالمية بتقىٰ، والتحق بعدها بتخصص التدريس، ونال الشهادة العالمية مع إجازة التدريس عام واحد وخمسين وتسعمئة وألف للميلاد.

ويذكر الشيخ من أساتيذه في هذه الفترة، الشيخ محمد زيدان، والدكتور محمد البهبي، والدكتور محمد يوسف موسى (رح).

ويعدّ الشيخ مناع من الشخصيات التي أثرت فيه توجيهًا وتعليمًا وتربية: والده خليل القطنان، ويصفه بالتقوى والكرم والجذم . . . ثم الشيخ عبد الرزاق عفيفي، فقد تلقى عنه وعاشره وجالسه، وهو في بلده شنشور، فكان يرافقه في البلد، ويلازمه في تنقلاته و دروسه ثم شاء الله أن يصاحبه مدرساً في كلية الشريعة، وفي المعهد العالي للقضاء بمدينة الرياض، حيث لايزال معاً منذ سنة ١٣٧٢ هـ حتى يومنا هذا.

ثم ينبع بالذكر الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، فقد تعرّف له واستمع إلى دروسه ومحاضراته وتوجيهاته، فلم يلبث أن انضم إلى الجماعة، واستمر يعمل في صفوفها متذئداً.

ومن بين العلوم التي ثقفها الشيخ يرى التفسير وعلومه أحبها إليه، لأنه يجد فيه - وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي - من الإعجاز التشريعي ما يكفل قيام الحضارة الفاضلة في كل عصر. ويدافع من هذا الإيمان يتولى تدريس التفسير وعلومه منذ تخرجه.

والقارئ لآثار الشيخ، كتاباً أو مقالاً أو حديثاً أو محاضرة، لا يفوته إدراك هذا الاتجاه، لأن الإيحاءات القرآنية أشد العناصر بروزاً في هذه الآثار.

ويتأمل المترجم في الأحداث التي عاصرها، وتركط طابعها عميقاً في تكوينه الفكري والروحي فيصرها على ما يأتي:

- أ - اتصاله بجماعة الإخوان المسلمين وإسهامه في جهادهم .
- ب - مشاركته في الحركة الوطنية التي قام بها الشعب المصري ، وفي مقدمته الإخوان ، ضد الاستعمار الإنجليزي سنة ١٩٤٦ م والتي انتهت بالقضاء على معاهدة ١٩٣٦ م .
- ج - مشاركته في حركة الجihad بفلسطين عام ١٩٤٨ م وذلك بتطوعه في سرايا الإخوان للعمل الفدائي ، في قتال اليهود الbagien .
- د - الفترة التي قضتها في السجن حين حاربت حكومة إبراهيم عبدالهادي جماعة الإخوان ، فحلت تنظيماتها وصادرت ممتلكاتها واعتلت مرشدتها العام الشهيد حسن البنا ، وأوقعت في أعضاء الجماعة مختلف أساليب التعذيب والإرهاب ، إذ كان أحد الذين اتهموا في قضايا الجماعة ، وزجوا في المعتقلات مع الفوج الأول من سجناء الإخوان بدءاً من عام ١٩٤٨ م وما بعده .
- ه - مشاركته في حركة المقاومة السورية ضد الإنجليز في منطقة القناة سنوي ١٩٥١ و ١٩٥٢ م .

ومعلوم أن تلك الأحداث كانت محور نشاط الشباب من جماعة الإخوان المسلمين ، ترسوا خلاها بألوان من التربية الإسلامية ، التي توقفت الوعي وتوضحت المفهومات الصحيحة ، وتحقق التطبيق العلمي للمعاني العليا ، التي تلهب في النفوس روح الجihad الإسلامي ، للخلص من القوى الاستعمارية على اختلاف ألوانها من شرقية وغربية ، وتوجه طاقات الشباب المؤمن إلى العمل على استعادة أمجاد الإسلام ، واستئناف الحياة الإسلامية القوية ، التي بها يتأكد الانتهاء الحلي لأمة القرآن .

وقد شاء الله أن يحرم الشيخ مناع من الإسهام في محنة الإخوان التي نزلت بها عام ١٩٥٤ في مصر، إذ كان أيامئذ مفترياً في المملكة العربية السعودية، حيث لا يزال حق الآن .

أحداث في التدريس :

وحتى الآن لم نتلقي جواباً على سؤالنا الثامن حول الأحداث التي قد تكون عرضت لأي من أصحاب الفضيلة أثناء عملهم في التدريس أو القضاء وما إلى ذلك ، فجواب الأستاذ مناع إذن هو الأول من نوعه حتى الآن .

يقول الأستاذ : إن أهم هذه الأحداث التي عرضت له في التدريس ما كان يواجهه من بعض الطلاب المنحرفين الخدوعين الذين يعرفون اتجاهه الإسلامي فكان يأخذهم بالحكمة والحنر .. ويقول : إن له مع هؤلاء نوادر طريفة .. إلا أنه لم يشر إلى أي من هذه النوادر بالتفصيل ، وكل ما يعلمنا به هو نتيجة أسلوبه الحكيم الحازم ، إذ يربينا أنهم أكبروا فيه صموده واستمساكه بعقيدته حتى لانت عريكتهم له .

وفي ظننا أنه لا بد لكل مدرس إسلامي في هذه الأيام من مواجهة أمثال هذه المشكلات التي يشير إليها فضيلة الشيخ ، وهي أمر جد طبيعي ، لأنها تمثل مرحلة الصراع التي يمر بها الجيل ، وبخاصة في الأقطار التي تسيطر عليها الاتجاهات غير الإسلامية ، إذ تعمل الدعایات الشيطانية عملها الدائب لزلازله بقايا القسم في صدور الشباب ، عن طريق المناهج الدراسية حيناً ، وعن طريق المدرس الزائف حيناً آخر ، إلى العشرات في وسائل التخريب التي تنصب على الناس من كل صوب .

إن المدرس المستقيم الذي يستشعر المسؤولية أمام ربه ودينه وأمه لن يكون سعيداً في مثل هذا الجو ، لأنه لا يستطيع كفان الحقيقة التي تملأ كيانه ، ولا يستطيع تأييد الباطل الذي يريد أن يلغى هذه الحقيقة ، فإذا قال الحق

أثار عليه أهل الباطل ، وما أكثرهم في كل مكان ، وبخاصة في الأوساط التعليمية ، التي يرکز عليها أصحاب السلطان من الذين حرموا نعمة الإيمان ، وحرموا في الوقت نفسه نعمة النظر في دلائل أهل الإيمان . وقد طالما عانينا من هذه المشكلات خلال عملنا في التدريس فصبرنا ما وسعنا الصبر ونصرنا الحق ما وسعنا النصر .

ولا جرم أن هذا الضرب من محن المدرسين لم يعرفه أحد من أسلافهم ، أيام كان الإسلام هو الذي يسود المجتمع ، ويحكم الصنائر .

صور من نشاط الشيخ :

لقد شمل نشاط المترجم ولا يزال، يشمل جوانب متعددة في خدمة الإسلام والعلم ، ويعدد فضيلته ببعضها ، فيخبرنا أنه كان عضواً في قسم الدعوة والإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين ، منذ كان طالباً في المرحلة الثانوية ، فكان لا يفتأ يتتجول في المدن والقرى للدعوة إلى الله في المساجد والأندية والحلقات ، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً .

وقد انتخب رئيساً لاتحاد الطلبة في كليةأصول الدين ، فقام بالاشتراك مع إخوانه بحركة المطالبة بتجديد المناهج الأزهرية لتمكين الأزهر من النهوض بمسئوليته بإذاء الدعوة ، وحول هذا الموضوع نشر عدداً من المقالات في جريدة « الشهاب » جريدة الإخوان يوميئذ .

ومنذ تخرجه اتخذ سبيلاً إلى التدريس ، فعمل في مصر إلى عام ١٩٥٣ م حيث أُعيد إلى المملكة العربية السعودية للتدرس بالمعاهد العلمية التي استمر فيها إلى سنة ١٩٥٨ م ، ومن ثم انتقل للتدرس في كلية الشريعة بالرياض . وحين افتتح المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٧ هـ أصبح عضواً في مجلس المعهد ثم أميناً لسر المجلس ، وعضوأً في هيئة التدريس . وهو يشرف كل سنة على عدد من أبحاث

طلابه لنيل (الماجستير) ويكون عضواً في لجنة الحكم على هذه الأبحاث . وقد عين مديرأً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٩٢هـ حيث لا يزال حتى الآن .

وقد اختير فضيلته كذلك عضواً في اللجنة الفرعية للتعليم بالملكة العربية السعودية ، عندما صدر الأمر الملكي بتشكيلها ، لوضع السياسة التعليمية على الأسس التي تتطلبها منزلة المملكة في العالم الإسلامي . ومن مهام هذه اللجنة النظر في مناهج التعليم ب ERAH المختلفة ، وصياغتها صياغة جديدة تنبثق من السياسة التعليمية العليا ، وتراعي أحدث النظريات والأساليب التربوية ، وقد اختارته هذه اللجنة الفرعية للتعليم مقرراً لها .

ونحن نضيف إلى هذه الجوانب الواسعة المتعددة من نشاط الشيخ في خدمة العلم وطلابه مشاركته في مختلف المؤتمرات التي تعقد في مختلف جامعات المملكة لتحديد مسؤوليات هذه الجامعات بإزاء النهضة الحديثة التي تعيشها المملكة في هذه المرحلة . ولقد قدر لنا أن نشارك في إحدى اللجان المنبثقة عن (مؤتمر رسالة الجامعة) الذي عقده جامعة الرياض عام ١٣٩٤هـ ، إذ كان الشيخ منساع هو الذي يرأس هذه اللجنة ، وكان له الأثر الطيب في نشاطها ، وفي ما انتهت إليه من توصيات نافعة ، على الرغم من إلغاء بعضها عند الصياغة الأخيرة ، وبخاصة ما يتعلق منها بضرورة الحفاظ على سلامة العربية وأدابها .

وإلى جانب هذه الألوان من نشاط الشيخ نجد له عدداً من المؤلفات يحمل العنوانات التالية :

- ١ - مباحث في علوم القرآن .
- ٢ - تفسير آيات الأحكام .
- ٣ - نظام الأسرة في الإسلام .
- ٤ - التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً .
- ٥ - نظرية التملك في الإسلام .
- ٦ - الثقافة الإسلامية .

- ٧ - الدعوة إلى الإسلام .
- ٨ - الحديث والثقافة الإسلامية .

و هذه المؤلفات كلها قد طبعت ، وأعيد طبع بعضها ، وهناك مؤلفات ذكر فضيلته أنها تحت الطبع و سمى منها « مناهج الاجتئاد عند الأئمة الأربع » ثم « مباحث في علوم الحديث » .

ويقول الشيخ: إن أحب هذه الكتب إليه هو أولها « مباحث في علوم القرآن » و يعلل ذلك بأن أصول هذا الكتاب كانت باكورة تواليقه .

و هو تعليل معقول يثبت أثر الظروف التفسيرية في إثمار المؤلف بعض تأليفه على بعض ، ولكنه لا يثبت أرجحية المختار على سواه في التقدير المطلق . و نظرية مدققة في أسماء هذه الكتب تؤكد أنها على سواء في القيمة الموضوعية ، إذ كل مباحثها من الضرب الذي تنطلق إليه حاجة الفكر المسلم في المرحلة الراهنة .

مستقبل الجيل الإسلامي :

ويرى فضيلة المترجم أن ثمة تشابهاً كبيراً في أوضاع العالم الإسلامي على اختلاف دياره وأقطاره ، وأن التفاوت الذي يبدو في بعض أجزائه لا يدعو أن يكون تفاوتاً في العوامل المؤثرة فيه قوياً و ضعيفاً ، أو في مدى قابليته للتاثير بها . ويوضح الشيخ رأيه قائلاً : إن التآمر الدولي الذي يحوكه خصوم الإسلام إنما يستهدف القضاء على كيان الأمة الإسلامية و مقومات شخصيتها حتى تظل نهب المطامع الغربية تارة والشرقية أخرى ، فلا يتحقق لها استقلال ذاتي ولا تنفصل عن كاهلها غبار التبعية . والعزو الفكري يشق طريقه لتحقيق هذا المهد بخطوات ثابتة ، ويقوم بتنفيذها أبناء جلدتنا باسم الحرية والتقدمية . وفي ظن الشيخ أن مستقبل الجيل الإسلامي الجديد سوف يكون أحسن حالاً من حاضره وعيّاً للإسلام وإدراكاً لمهمته و عملاً على النهوض بأمته .

أما لماذا وكيف . فيقول: لقد ذاق العالم الإسلامي مرارة الاستعمار الغربي، واكتوى بنار فساد المدينة الحديثة رديحاً من الدهر قاسي فيه ألواناً من المأساة أنهكت قواه ، وفرقت شمله وأشاعت فيه روح المروق والإباحية ، واستغلت مرافقه وخداماته وطاقاته، فرُزح تحت نير الاستعباد مكبلاً بأغلاله . ثم جاءت صحوة العالم الإسلامي بعد هذه الكبوبة تشم بوارق الأمل . إلا أن هذا الأمل ما لبث طويلاً حتى تبدد شعاعه في الظلام الكثيف الذي ساقه الثوار المتحررون في مؤامرة جديدة ، ترفع شعار الكفاية والعدل ، وتحفي وراءها الشيوعية الدولية مغلقة بالحرية والاشراكية والقومية ، وحيث ظن الناس أنهم نجوا من خلْب قط وقعوا بين فكي أسد . ويعرب الأستاذ عن تفاؤله بأن هذا الشعور يمكن اليوم بين جوانح الكثير من أبناء الأمة الإسلامية ، وستتاح له الفرصة قريباً للتعبير عن حاجاته ، ويومئذ تبدو بوادر اليقظة الوعائية التي تنفض يدها من الشرق والغرب ، وتراجع رصيدها الإسلامي من تاريخ أمتنا المجيدة ، فتتجدد في هذه الأمة بوات الأمل وعوامل النهوض لبناء مجتمع إسلامي معاصر على مبادئ الإسلام وهدي شريعته ، يقيم للإنسانية حضارة إسلامية فاضلة ، تأخذ يدها إلى سبيل الرشاد .

مسؤولية علماء الإسلام :

ويضيف الشيخ في الحديث عن هذا الجانِب قائلاً : على يد علماء الإسلام الذين يدركون واقع أمتهم ، ويفهمون حقيقة رسالتهم ، ويقدرون أمانة الله في أنعاقهم ، على يد هؤلاء العلماء يقع العبء الثقيل في مسيرة الجيل ، والوقوف في وجه التيارات الفاسدة ، واستئناف حياة إسلامية صحيحة . ومن أجل تحقيق هذه الغاية يتقدم الصديق إلى إخوانه العلماء بهذه التوصيات الأربع :

١ - أن يستشعروا خطورة المسؤولية ، وفداحة الخطاب .. فإن الله قد أناط بهم ميراث النبوة من القيام بواجب الدعوة وهداية البشرية إلى الخير ،

وهي مسئولية جد خطيرة لا يحملها إلا أولئك الذين يتجردون الله من ذوي الإيمان الصادق والعزيمة القوية ، التي تضي في طريقها بثبات وصبر : « يا يحيى خذ الكتاب بقوّة » « فاصبر كا صبر أولو العزم من الرسل » .

والتخلي عن أداء تلك المهمة أو التقصير فيها لا ينكب الأمة في خطب تواسي فيه بالاستعاضة عنه ، وإنما ينكبها في أغلى شيء لديها لا تجد له عوضاً .

إن الأمة قد ترزاً في اقتصادها ، واحتلال أرضها ، أو تختلف حياتها ، ولكنها تظل أمة حية تنبض بمعاني القوة ما دامت معتصمة بدينها ، مؤمنة بعقيدتها ، واثقة بنصر الله لها . أما إذا فقدت الثقة والإيمان والدين فقد فقدت روحها ، وأصبحت جثة هامدة لا حياة فيها ، وذلك هو الرزء الذي لا تجدي فيه الموارضة ، ولا يستعاض عنه بشيء ، فشعور علماء الإسلام بهذه الحقيقة هو بداية الطريق .

٢ - ومن شأن هذا الشعور أن يوقظ في نفوس العلماء ضرورة العمل الموحد ، وهذه هي الوصية الثانية ، لقد كان علماء الإسلام على مر العصور والأجيال مختلفون في المسائل الفرعية الاجتهادية ، ولكن هذا الاختلاف لم يفسد ما بينهم من رابطة الجهاد وشبيحة قرابتها ، فقد كانوا يوقنون بأنهم جميعاً جنود الإسلام في صف المعركة . فالمعركة واحدة وصفها واحد وغايتها واحدة ، وهي تحرير الإنسان من عبوديته لأخيه الإنسان حتى يصير عبداً خالصاً لله ، وتلك هي الحرية بالمفهوم الإسلامي : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » .

وإذا كانت الاتجاهات المعادية للإسلام تدفن كل خلاف بدينها لتقف على قلب رجل واحد في حرب الإسلام ولتحطم كيانه وتمزيق شمل أمته ، فكيف يسوغ لرجالات الإسلام أن يواجهوا هذا التكتل أشتناً متنافرين . والله تعالى يقول : « ولا قناعوا فتقفلوا وتذهب ريحكم » .

٣ - ثم يأتي دور التخطيط للعمل المثمر الهدف — وهي الوصية الثالثة لقد تقدمت المعارف الإنسانية، وكثرت فنونها وأصبح لكل فن شعبته الدراسية. ولكل شعبة أبحاثها ، فعلم الاقتصاد مبادئه ونظرياته ، وللعلوم السياسية أسسها ومناهجها ، ولعلوم الاجتماع قواعدها وفلسفتها ، ولكل أمة منهج فكري تصدر عنه في تنظيم شؤون حياتها فتصوغ معارفها في قالبه . وتقدمت كذلك وسائل الإعلام والنشر والتوجيه تقدماً معدوم النظير ، وأخذ أصحاب كل مبدأ بهذه الأساليب في نشر مبادئهم عن تخطيط مدروس .

فعلى رجال الحركة الإسلامية إذن أن يرتفعوا إلى هذا المستوى في الدراسة الراغبة والأساليب المتكررة ، للذود عن حياد الإسلام ، والقيام بواجب دعوته .

٤ - وتأتي بعد ذلك الوصية الرابعة في الدأب والثابرة . إن العمل أيا كان نوعه أمر شاق على النفس ، ولكن الصبر عليه هو ضرورة الحياة الحادة النامية ، وحين يتسرّب اليأس إلى النفس يدركها الخور وتتراءى أمامها الحياة الخفيفة مقرفة .

ونحن المسلمين أصحاب عقيدة تصلنا بالله تعالى ، الذي بيده ملوكوت السموات والأرض ، ومن هذه الصلة نستمد القوة المعنوية الدافعة ، التي تبدد سحب المخاوف ، وتقضى على عوامل اليأس ، وتبعث فينا روح الأمل الباسم المشرق من خلال البلاء والمحن « أحسب الناس أن يُترکوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون! » « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمون » الله الذين صدقوا وليعلمون « الكاذبين » إنه لا بد للحركة الإسلامية من أن تجمع شتاها ، وتحكم خطتها ، و تستفيد من طاقات أبنائها ، وتدأب على الكفاح المير في خطة مدرورة محكمة .

ولن تغنى عواطف الجماهير المسلمة شيئاً ما دامت ساذجة مخدّرة حتى تتحول هذه العواطف إلى فهم ، ويتحول الفهم إلى وعي ، ويتحول الوعي إلى تنظيم ، ويتحول التنظيم إلى جهاد . وهذه المراحل منهجها التربوي ، وسبيلها العلمي

وصفها المترافق «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفةً كأنهم بنيان مرصوص» وفي وعد الله للمؤمنين العاملين ما يستنهض الهمم ويحفز العزائم ، ويستقر قوى الإيمان للبذل والفداء « وعدهم الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، ولبيدهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » .

اختارات من آثاره :

وعند الإجابة على هذه الفقرة لم يعرض الشيخ لذكر الشعر . ولعل ذلك عائد إلى أنه لم يحاول ممارسته ، أو لم يجد فرصة لها ، لأنصافه مبكرأ إلى الفكر العملي . وقد تفضل فاختار لنا المقاطع التالية من كتابه « الدعوة إلى الإسلام » .

يقول فضيلته : « وتفاوت الناس ، واختلاف طبائعهم وتباعد أمزاجهم من الأمور التي يحب مراعاتها في الدعوة ، لتجد مسلكاً إلى القلوب يخالط شغافها ويروي ظمآنها ، وينهي فيها عوامل الخير ويعصّها من مزاق الشر .

ولكل مجتمع آلامه وأماله التي تنبعث من صميم بيئته فهو يتطلع إلى موضع يبرئ سمعه في لطف ويعيد إليه عافيته ، وما لم تلمس موعظة الداعية حقائق مشكلاته بسبر أغوارها وتشخيص علاجها صحت آذانه عن الاستماع إليها . ولكل عصر مشكلاته التي تتجدد معه بتجدد الحياة وأفكارها ونظرة العقل البشري إليها ، فالذي يخاطب عصره بشكلات عصر آبائه وأجداده أو معضلات بيئته غير بيئته كالذي يصبح في واد ، أو ينفح في رماد – والناس يحدث لهم من الأقضيات بقدر ما يستحدث من مباديء وعقائد ومذاهب وأعمال ، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يفت في مصر بما لم يفت به في العراق ، حتى أصبحنا نقرأ في مذهبة : قال الإمام الشافعي في القديم ، وقال الإمام الشافعي في الحديث .

وقد عرّف أهل اللغة البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقضي الحال وقالوا : لكل مقام مقال ، وهذا كان من الواجب على الداعية في منهج دعوته أن يراعي اختلاف المقام ومقتضيات الأحوال ، وإذا كان السابقون قد وقفوا في هذا عند اختلاف أضرب الخبر في التجرييد والتوكيد وموضع الإيحاز والإطناب والمساواة ، فإنه في منهج الداعية يتجاوز هذا إلى الإمام بالعلوم النفسية والدراسات الاجتماعية ، حتى تأتي موعظته بلية في كل موقف من مواقفه تتحسن النفوس ، وتتعرف مداخلها . وقد أشار القرآن الكريم إلى مراعاة هذا مع طبقات الناس من العالم الذي يتطلب الحكمة بالبرهان ، والعامي الذي تكفيه الكلمة العاطفية المثيرة المؤثرة ، إلى المجادل الذي يرفض الحق بالكلابرة ، يقول تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادهم بالتي هي أحسن » (النحل : ١٢٥) وقد أصبح الصراع الفكري محتملاً في العالم المعاصر ولكل مبدأ شيعته بل دولته التي تتباين وتندعو إليه ، وتنتفق بمناخ في سبيل ذيوعه ، وتطورت وسائل الإعلام وتمايزت بدراسة عالية خاصة ، واستطاع أصحاب المبادئ أن يبيشوها مطمئنة في الأدب بالقصة والمقالة والقرير والفكاهة ، وفي التأليف بالكتاب العلمي والكتاب الروائي والرسالة الموجزة والبحث العميق ، وفي التمثيل على خشبة المسرح ، وفي التربية ب أناشيد الناشئة وصفوف الدراسة ، وفي التوجيه الفكري بالبعثات العلمية والإرساليات التبشيرية . والدعوة الإسلامية تواجه هذا السبيل الفكري المتدق بآمواله العارمة فلا بد لها من تعبئة ترفعها إلى هذا المستوى ، مستندة إلى أحقيتها في الحياة ، وتكامل عناصرها للنهوض بالإنسانية ، كي تؤتي ثمارها بإذن الله . وإذا لم تتوافق لها تلك التعبئة فهيا بهات أن يبلغ بأمتنا إلى أملاها المشود في العزة والسؤدد والحضارة والجد . وتاريخ الدعوة إلى الله في حياة الرسل يبين لنا منهاجها السديد ، من رقة التعبير ، وإشراقة الديباجة ، وحسن العرض ، ولحن الخطاب ، وجيل الملاطفة . فقد تتابع على لسان نوح وهود وصالح من خطاب قومهم لتبلیغ الدعوة : « إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ » (الشعراء ١٠٥)

«إذ قال لهم أخوه صالح ألا تتقون» (الشعراء ١٤١) ويستميلهم لوط بقوله : «ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين» (الشعراء ١٦٠ - ١٦٣) . ويسترضيهم شعيب بالحسنى : «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهما ك عنـه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت» (هود ٨٨) . وفي ملائمة موسى وهارون لطغيان فرعون رجاء تذكرته ، سبيل الدعوة السوي ، يقول تعالى : «إذهبوا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولًا ليناً لعله يتذكر أو يخشى» (طه : ٤٢ - ٤٣) . ويبين الله سبحانه وتعالى أثر هذا الدين لدى رسولنا ﷺ في التفاف القلوب حول رسالته فيقول : «فبِمَرْحَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فِطْنًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران ١٥٩) . وأي أدب ألين عاطفة وعريكة من حكاية القرآن الكريم عنه في خطاب المشركين : «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (سبأ ٢٣) . فتى يسمو منهـج الدعوة إلى الإسلام في عصرنا الحاضر إلى ذلك المستوى الرفيع ؟ قـل عسى أن يكون قـريراً .